

# سجن من نوع جديد

مترجمة عن مجلة " وورلد دايجست "

ذلك هو السجن الذي أنشأته حديثا حكومة كولومبيا في مدينة برنابي للفتيان الذين خطوا أول خطوة في طريق الإجرام .

فلقد نجح هذا السجن نجاحا لم يكن متوقفا . لأنه نهاية ما يمكن أن تسمو اليه أحلام ذوى النمل العليا . هنالك لا تجد أبوابا مغلقة . ولا حراسا مدججين بالسلاح ، بل ترى سجنا في صورة منزل وادع يعيش فيه كل المسجونين في صفاء وطمانينة وشرف . يسمون ويأكلون ويمرحون في حرية كاملة غير منقوصة .

وفي هذا المكان الفريد في نوعه يحيد ثلاثة وأربعون صبيا الأعمال التي تلائم مزاج كل منهم وطاقته ، فلا يبهد أحدهم نفسه في عمل شاق عابه أو منهك بلبسه ، ومن ثم تبدو في نظرات جميع نزلائه مخايل الذكاء وبوادر الرجولة المبكرة والصحة الموفورة .

والمشروع ذاته من بنات أفكار المستر أنجاس ماك ليود . الضابط السابق لسجن أوكلاند . والذي أكدت له تجاربه الطويلة مع المجرمين أنه يتال باللطف ما لا يتال بالصف .

وطبقا لنظام المشروع يقضى المذنبون ثلاثة أيام من كل أسبوع خارج المحابس في مروح لذيذ ونشاط مثمر مبتكر . فن متصف الساعة الثامنة إلى الساعة التاسعة صباحا ينظمون في حلقات تهيئية ثقافية . ومن الساعة التاسعة إلى الساعة الحادية عشرة يتكئون على سيجيتهم لهواياتهم الشخصية كلعب الورق أو الإنصات إلى المذياع ، أو السمر أو المطالعة المسلية في قاعاتها الخاصة أو خارجها . وتشر لهم في قاعات المطالعة الكتب النافعة والمجلات المصورة الجذابة التي تمن ملكاتهم وتغذي مداركهم وتؤثر في طبائعهم وأخلاقهم أيما تأثير . ويسمح لهم باستقبال أقرانهم أو أصدقائهم مرتين في الشهر ، كما يسمح لهم بالكاتب إلى هؤلاء تحت رقابة أو إشراف موظف مختص .

وكثيرا ما يسأل الضابط ما كليود كل من يصادفه فيقول " ترى هل سمعت يوما أن مسجوننا طلب إعادته إلى السجن أو رفض الخروج منه إذا انتهت مدة بقائه فيه ؟ أليس عجيبا أن ترى كل يوم على باب هذا السجن عشرات ممن نادوهم يسألون بلطاح عما يجب أن يفعلوه ليؤذن لهم بالعودة إلى حظيرته أو لقضاء عطلة آخر الأسبوع بين زملائهم السابقين ؟ ! "

وليس المستر ما كليود هو المتحمس الوحيد لهذا المشروع ، بل هناك المستر أ. ستيفانيس يراقب النشاط التهذيبي فيه وهو يقول في حرارة المؤمن بالفكرة إن غالبية الأطفال يفكرون آليا ، والأذكياء منهم هم الذين يستطيعون هضم دروس الكهروياء والمحركات الزينية ، والأقل ذكاءا تجتذبهم أعمال التجارة وفنون العازة ، والباقيون يهربون من مدارسهم ليستطوا بحفنة على العربات التي تصادفهم في الطريق العام ، وقليل جدا من هؤلاء يستعملون العنف في ارتكاب جرائمهم ، ومع استثناءات لا تكاد تذكر يرث أولئك الأطفال ميول آبائهم ، وإطالما وجهت السؤال الآتي إلى الأطفال الذين يزاولون التجارة " ما هي الثمرة التي ترجوها من التثبث بهذه المهنة ؟ " فيجيبني كل منهم إجابة تصحبها إبدامة ماكرة بأن روح التقدم في البلاد تستبح حتما تشيد العائرين حين وآخر ، وعلى هذا لا يمكن اختفاء هذه المهنة .

وفي كل عام ينظم اتحاد سانت جون للاسعاف محاضرات دورية في طرق الإسعاف الأولية ، ويرسل نادي الروتري محاضرين في الشؤون الزراعية والاجتماعية ، أما اتحاد الكنيسة المحلي فيعقد حلقات عامة في الهواء الطلق حيث يشير كل قتي النقاش الذي يروقه ، ويخضع في الوقت عينه للاختبار والتحليل دون أن يشعر ، ولما سئل أحدهم عن الفائدة التي يرجوها الفرد من الحديث في المجتمعات العامة أجاب في رزانة طبيعية " إن من السهل على الفرد بهذه الوسيلة أن يهذب أفكاره ، فقد تجمع في أعماق قلبه الباطن أمهات المشاكل التي يحسن الفقاؤها على بساط البحث ، أو الخواطر التي تجمل إذاعتها على الناس ، ولكنه لا يشعر بالارتياح إلا اذا صاغ هذه المشاكل وتلك الخواطر في ألفاظ رقيقة وعبارات سلسة " وإذا تم الاستئول جوابه البديع هنر باقي الفتيان رؤسهم بالموافقة على كلامه .

ومن عجب أن تسود الأمانة ومقتضيات الشرف بين المسجونين على وجه مالموس برغم حداثة المشروع ، إذ لم ينس الذين انتهت مدتهم في هذا السجن ماضيهم بين جدرانها ، ولماذا نذهب بعيدا والإحصاءات الأخيرة تذكر أن ثلاثة ونحسين نخرجوا من هذا السجن فلم يبيد فضله سوى ثلاثة منهم سئلوا مرة أخرى في حماة الرذيلة ، أما الباقيون فلم ينكروا أيديهم البيضاء عليهم حتى بعد النجاة منهم بأعمال كان من الدهل أن تغفل على ذكر آياتهم عنه .